الأسطورة العربية القديمة
مقاربة شكلية لبنيتها السردية ووظيفتها الاجتماعية

▪ أ. شوقي زقادة
جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة

الملخَّـص:

"إن الأسطورة بكل تجلياتها فكرة راودت الإنسان البدائي في مسار بحثه عن فلسفة الكون وأصل الوجود، وما كان يحدث في الطبيعة من انقلابات وتغييرات كان يقلب كيانه رأسا على عقب، تساءل من خلالها عن أسباب الموت ودواعيه، ولماذا قدر عليه أن يموت فيما استاثرت الآلهة بالخلود. أسئلة كثيرة كانت تجتاح مخيلته لم يكن يجد لها تفسيرا أو تبريرا معقولا، فهرب من الواقع إلى الخيال، وفسر على أنه حكاية، حكاية خيالية تطورت ونمت واتسعت مع مرور الوقت لتاخذ صيغتها النهائية في شكل أسطورة، وغدت كشفا لعوالم غير مسبوقة، وانفتاحا على عوالم أخرى ممكنة تسمو على حدود عالمنا الفعلي المستقر، تدفعنا إلى الانبهار بها وتلقي خطابها السردي تلقيا خاصا".

الكلمات المفتاحية: الأسطورة، الثقافة الشعبية، الأدب الشعبي.

Résumé:

Le mythe dans toute ses expressions une idée qui a eu lieu à l'homme primitif dans sa recherche à propos de la philosophie de l'univers ainsi que l'origine de son existence,et tout se qu'il passait dans la nature en tant que changements lui rendre perturber,il se demandait à propos des mythes sur les véritables causes de la mort, et pourquoi l'homme devrait mourir tant que les dieux représentaient l'immortalité. De nombreuses questions ont été pénétrés l'imagination de l'homme, n'a pas trouvé une justification raisonnable, ont fui de la réalité à la fantaisie et interprété en tant qu'un conte de fées qui a évolué au fil du temps pour prendre sa forme définitive bien sûr sous la forme d'un mythe. Ce dernier est devenu la révélation des mondes et ouvre de son tour des fenêtres sur d'autres possibles qui transcende les limites du monde stable. Tout cela pour nous conduire à une fascination du mythe ainsi de recevoir son discours sous une forme unique et spécifique.

Mots-clés: Mythe, culture populaire, littérature populaire.

Abstract:

The myth with all manifestations is an idea that occurred within the primitive man's search for the universe's philosophy and source of its existence. In addition, the changes that were happening in the nature lead him to ask for death's reasons and to question why humans die while gods do not. Many questions come to his imagination for which he does not find neither explanation nor reasonable justification. So he escaped from reality to fantasy and interpreted it as a tale; an imaginative tale that developed, grew and expanded over time to take its final shape in a form of a myth. As well as, it became a revelation of unknown worlds and a window for other possible worlds. These worlds do not resemble our real and stable world, leading us to be fascinated.

Key words: Myth, popular culture, popular literature.

مقدمة

لقد تراكمت في القصص الأسطورية العربية تجارب ومعارف ومعتقدات وطقوس أجيال ضاربة بعمقها في التاريخ، ولكن ليس بالإمكان تجنيس كل هذه القصص والحكايات القديمة ضمن الأساطير، فالأساطير تحظى بمكانة مبجلة وهالة مقدسة، ويحظر تداولها في غير المكان والزمان المناسبين، وعلاوة على ذلك فهي تحمل في غالب الأحيان طابعا تفسيريا، فهي تروي قصص نشوء الظواهر والأشياء المحيطة بوجود الإنسان البدائي، مع تحديد الشكل والصورة لهذه الظواهر والأشياء، ومع ذلك ليس كل ما تركه هذا الإنسان يعد أسطورة، وهنا مكمن المعضلة: كيف نستطيع أن نحدد طبيعة الأساطير من الناحية الشكلية والوظيفية؟ وقبل أن نجيب على هذه الإشكالية لابد لنا أن نعرج أولا على مصطلحين مهمين في هذا المضمار وهما: الثقافة الشعبية والأدب الشعبي، محاولين التعرف عليهما لما لهما من دور في إنارة طريق البحث من أجل فهم طبيعة الأساطير فهما أعمق.

1 ــ الثقافة الشعبية:

للثقافة الشعبية مفاهيم متعددة، وكثيرا ما كان مصطلح "ثقافة شعبية" يستخدم كمصطلح مضاد ومخالف للثقافة العليا أو النخبوية. وقديما نبذ بعض الأكاديميين هذا المصطلح ورأوا أن الثقافة الشعبية شيء تافه وأن الاشتغال بها مضيعة للوقت والجهد معا، وهذا الموقف الذي اتخذه هؤلاء راجع إلى أمرين رئيسين: الأول: تركيبتهم الثقافية المعتمدة أساسا على الثقافة النخبوية الرسمية، والآخر: الميولات الإيديولوجية القومية أو التغريبية الرافضة لهذه الثقافة، وقد كانوا غير مدركين أن بعض الاهتمام بهذه الثقافة يمكنهم من إدراك الدور الذي يمكن أن تقوم به في المجتمع، والتي على رأسها نقل الرسائل الأيديولوجية المتضمنة في الذاكرة الشعبية والأسلوب الذي نشأ به، وتأثيرها النفسي والاجتماعي على الأفراد.

والثقافات الشعبية Popular cultures أو ثقافة الشعب هي مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي جماعة من الأفراد الذين يعيشون في مكان وزمان محددين، ويتداولون نفس المواد الثقافية، غالبا باستخدام طرق إعلام شعبية، وهذه الثقافة تتضمن: الفنون الشعبية بمختلف أنواعها، والمعتقدات الدينية التي يسير على نهجها أفراد المجتمع، والأنماط السلوكية الجمعية التي تميز أفراد مجتمع معين من الآخرين. وآخرون يعرفونها بأنها الثقافة التي ينتجها الشعب ويستهلكها الشعب أيضا، ولذلك وجب الاشتغال بدراستها دراسة جادة وعميقة للكشف عن الظواهر الشعبية على تنوعها، والانفتاح على هذه الثقافة من شأنه أن يغير مستويات عديدة في العلاقة بين المؤسسات الرسمية والمجتمع كأصوات تعبيرية لأن الاعتراف بالتنوع فيه احترام للخصوصية الثقافية.

2 ــ الأدب الشعبي:

الأدب الشعبي ظاهرة تلقائية تعبّر بها الأمم عن ذاتها بكل حرية وتجرد، ودون أي قيد. فالخطاب الشعبي هو التعبير الفطري الصادق عن أحلام الأمة، وآمالها وبؤسها وشقائها، وهو ظلها الذي يصاحبها عبر الزمن، مهما اختلفت الأحوال والأماكن.

إن هذا النوع من الأدب متداول بشكل شفاهي عبر العصور، متوارث جيلاً بعد جيل، ويشمل الفنون القولية مثل: الأساطير، والحكاية الشعبية، والأغاني الشعبية، والألغاز، والنكات، والنوادر، ونداءات الباعة، وشعارات المظاهرات، والتعبيرات الشعبية الشائعة... وهو لا يسند لفرد بعينه، بل تشارك الجماهير في إبداعه وإعادة إنتاجه عن طريق قبولها له، وتعديلها لصورته، وتهذيبها لصياغته لتناسب ذوقها عندما تتداوله، وما احتفاء الجماعة به إلا لأنه صادر عن وجدانها الجمعي.

الأدب الشعبي هو إبداع عفوي أصيل يحمل ملامح الشعب ويحفظ سماته ويؤكد عراقته ويعبر بصدق عن همومه اليومية ومعاناة أفراده على مختلف مستوياتهم، فهو يؤدي دورا بارزا في حياة أي شعب من الشعوب، تعبيرا عن واقعه وتسجيلا للأحداث الهامة من تاريخه وتصويرا لظواهر وملامح المجتمع وتقاليده ولآرائه الأصلية، وهو صورة لروحهم العامة وشعورهم المشترك، ومنه فان له أهمية قصوى في التراث الثقافي لأية أمة من الأمم، باعتباره أدب عامتها التقليدي الشفاهي المتوارث جيلا بعد جيل، والمعبر عن ذاتيتها والمستهدف تقدمها الحضاري والراسم لحدود مصالحها.

من هذا المنطلق يعرف الأدب الشعبي بأنه تلك الصورة المجسدة لمجتمع ما شغل حيزا من المكان واستمر لفترة من الزمن، يمارس الحياة بكل ما تعنيه الممارسة، بدءا من الفرد إلى محيطه الأكبر فالأكبر.

وفي حدود هذا الكلام يبدو الأدب الشعبي صورة مستنسخة عن حياة المجتمع يرسم كل معالمه النفسية والاجتماعية والتاريخية والأنثربولوجية...

ويمكن القول بأن الأدب الشعبي هو مجمل الفنون القولية التلقائية، وهذه الفنون هي على رأس قائمة فروع التراث، ونقلت هذه الفنون بلهجة دارجة من جيل لجيل، وبشكل شفاهي، وهي تعبير عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة، ومع الإنسان ذاته، والأدب الشعبي بهذا المفهوم عبارة عن تتويج لخبرات الإنسان ومعارفه، وأحاسيسه، ومشاعره، وتشتمل هذه الفنون على: المثل الشعبي، الأغنية الشعبية، النادرة والنكتة، نداءات الباعة[1]...الخ

3 ــ الأسطورة في المقاربات اللغوية والاصطلاحية:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: ((السطر هو الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير، واحدة الأساطير أسطورة، وسطر يسطر إذا كتب، قال تعالى في كتابه العزيز: ((ن والقلم وما يسطرون))، أي ما تكتب الملائكة))[2].

فالأساطير تعني في كلام العرب الكتابة والتأليف، ثم تطور المعنى ليصبح دالا على الباطل، ففي معجم "مقاييس اللغة"، إذ يقول ابن فارس: ((سطر: السين والطاء والراء أصل مطرد، يدل على اصطفاف الشيء كالكتاب والشجر، وكل شيء اصطف، فأما الأساطير فكأنها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسما لها، مخصوصا بها، سطر فلان علينا، إذا جاء بالأباطيل))[3].

وقد وردت لفظة "الأسطورة" في القرآن الكريم في تسع مواضع[4] بصيغة الجمع، ولم ترد مفردة مطلقا، ومنها قوله تعالى: «**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**»[5]،

وكذا في قوله تعالى: «**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**»[6]، بمعنى أحاديث الأمم السابقة وأكاذيبهم.

أما عن مصطلح "الأسطورة" في اللغتين الفرنسية والانجليزية فهو يقابل مفردة "Myth" المشتقة من الأصل اليوناني "Muthos"، الذي يعني ((الشيء المنطوق ... فمعنى الأسطورة إذا هي الكلام المنطوق أو القول، ولكن أي قول؟ يذهب الدارسون إلى أنه القول المصاحب للعبادة والطقوس[7] الدينية... فهي إثبات للجانب الكلامي من الحركة في العبادة، قبل أن تصبح هي نفسها حكاية حول هذه الطقوس أو منبثقة من هذه الطقوس))[8]، ويعني هذا القول أن الأساطير ما هي إلا ذلك الكلام الملفوظ على لسان الإنسان البدائي أثناء تأديته الطقوس الدينية، وفي نفس هذا المعنى يقول رانفين "Ranvin": ((إن الأسطورة Mythos عند الإغريق كانت تعني أول ما تعني شيئا يلفظ من الفم Mouth، فهي إذن المنطوق المتعلق بطقس يمثل، وما يعمل))[9]، ومن هذا القول نستشف الصلة الوثيقة بين الأساطير والطقوس الدينية.

وتجدر الإشارة إلى أن أفلاطون "Platon" يعد ((أول من استعمل تعبير Muthologia بمعنى "القول عن" أو "الإخبار عن"، أو بمعنى "القصص"))[10]، ومنه جاءت لفظة "Mythologie" المستخدمة في أغلب اللغات الأوربية المعروفة.

أما عن لفظة ميثولوجيا "Mythologie" فهي لفظة مركبة ((من مقطعين: "ميثوس + لوغوس= ميثولوجيا، ميثوس تعني ما يتنافى والعقل، ولوغوس تعني العقل، والميثولوجيا تعنى بدراسة وتفسير الأساطير، كما تدل لفظة ميثولوجيا كذلك على مجموعة الأساطير الخاصة بشعب ما))[11]، ويعني هذا القول، أن الميثولوجيا تحمل بين ثناياها ميزتين: الأولى: هي علم؛

أي أنها مجموعة من المناهج والإجراءات التي يستخدمها الباحثون والعلماء من أجل فهم حقيقة الأساطير، والميزة الأخرى: أنها مادة؛ على أساس أنها مجموعة من الأساطير التي أبدعتها قريحة شعب من الشعوب، ويؤكد م. ف ألبيديل "M. F Albidel" هذه الفكرة بقوله: ((الميثولوجيا مصطلح يطلق عادة على مجموع أساطير هذا الشعب، أو ذاك، أو على دراسة الأساطير)) [12].

إن غموض مصطلح الأسطورة وهلاميته في الدراسات الغربية جعلت دارس الميثولوجيا الغربية مرسيا إلياد "Mircea Eliade" يعترف بمدى صعوبة إيجاد مفهوم له يتفق حوله كل العلماء، وهذا ما جعله يطرح التساؤل التالي: ((هل يمكن إيجاد تعريف واحد جامع يشمل جميع أنماط الأساطير ووظائفها في كل المجتمعات القديمة والتقليدية؟))[13]، ولكن بالرغم من وجود مفاهيم مختلفة للأسطورة إلا أن الدارسين اتفقوا على الطابع الاعتقادي والإيماني لها، فهي تحمل هالة قدسية لدى معتنقيها والمؤمنين بها، كما اتفقوا أيضا على أنها نتاج الإنسان عبر الأزمنة الغابرة والبدائية، وها هو عالم الأنثروبولوجيا برونسلاف مالينوفيسكي "B. Malinowski" يحاول أن يقدم مفهوما للأسطورة من خلال استخلاص طبيعتها ووظيفتها في المجتمعات البدائية، فيقول: ((ليست الأسطورة تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، تطلعات أخلاقية وواجبات، وأوامر على المستوى الاجتماعي... تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها، تفسر وتبرر وتقنن المعتقدات، تحامي عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان))[14].

ويمكن أن نعد الأسطورة بأنها حكاية تتحدث عموما عن المنشأ والمصير، كما تتحدث عن تاريخ واقع مقدس، اعتقدت به جماعة من

الجماعات البدائية، وفيها تفسير لنشأة الكون، أو تعليل للظواهر الكونية أو الطبيعية وتاريخ الآلهة وأنصاف الآلهة والملوك والقادة الأبطال. لذلك عدت أشبه ما تكون بصورة مجازية تحاكي طبيعة الإنسان ومصيره في هذا العالم، فهي إذن تلك المادة التراثية التي صيغت في عصور الإنسانية الأولى، وعبر بها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكره ومشاعره تجاه الوجود، فاختلط فيها الواقع بالخيال وامتزجت معطيات الحواس والفكر واللاشعور وأتحد بها الزمان كما اتحد فيها المكان.

لقد أكد عالم الإناسة الأدبية كلود ليفي ستراوس " Claude Lévi Strauss" على أنها وقائع حدثت فعلا منذ زمن بعيد هدفها تفسير الماضي والحاضر بل حتى المستقبل أيضا، فهي ((تتعلق دائما بأحداث مضت «قبل خلق العالم» أو إبان العصور الأولى، وفي كل حال منذ زمن طويل، لكن القيمة الجوانية التي تعزى للأسطورة إنما تنشأ عن أن هذه الأحداث التي يفترض بها أن تكون قد حدثت في لحظة معينة من الزمان تشكل في الوقت نفسه بنية دائمة، وهذه البنية تتعلق بالماضي وبالحاضر وبالمستقبل في آن معا))[15]، فيما عدها ماكس مولر "M. Muller" ((خدعة ترتيب على طبيعة العقل الإنساني))[16]، أما رولان بارث "R. Barthes" فهو يعتبرها كلاما خاصا، له مميزات ينفرد بها عن الكلام المستخدم في الحياة العادية، فهي ((تتميز بتحويل المعنى إلى شكل))[17]، بل هي أكثر من ذلك، إنها ((سطو مستمر على اللغة))[18].

لقد اجمع الباحثون على أن الأسطورة تحمل طابعا مقدسا لدى المؤمنين بها، فهي ليست قصة واقعية عادية، وإنما هي قصة مقدسة تروي حدثا وقع في الزمن البدائي، الزمن الأسطوري، وبعبارة أخرى: تروي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل كائنات عليا[19]، هذه الكائنات العليا

هي عماد وأساس هذه القصة ذات الهالة القدسية، إذ ((غالبا ما تكون كائنات غيبية، أو أباء أولين أو حيوانات طوطمية[20]، تفعل فعلها في الزمن الأولاني))[21]، ويمكن القول أيضا في هذا المجال: أن الإنسان البدائي لجأ أثناء إنتاج الأساطير إلى عملية أنسنة الأشياء، وهي عملية فكرية مناسبة لطبيعة فكره وزمنه آنذاك، راجيا منها محاولة فهم ما يحيط به من ظواهر كونية وطبيعية واجتماعية...، فالأسطورة اتخذت ((شكلها بالتشخيص، أي جعل المظاهر الطبيعية أو الأشياء الجامدة أو الصفات والمجردات، تتخذ شكلا بشريا، فتضفي عليها السمات البشرية، هناك عامل آخر مشابه وهو الإنساني، فيعزى الشكل الإنساني والصفات والمفاهيم إلى اله، أو حيوان أو نبات أو شيء آخر))[22].

وتجدر الإشارة إلى أن الأسطورة كتبت بأسلوب شعري، تناغمت فيه القوافي والأوزان مع الحقيقة المقدسة، فهي في جوهرها ((ضرب من الشعر يسمو على الشعر بإعلان حقيقة ما، ضرب من التعليل بأنه يبغي أحداث الحقيقة التي يعلن عنها، ضرب من الفعل أو المسلكة المراسيمية، لا يجد تحقيقه بالفعل نفسه، ولكن أن يعلن ويوسع شكلا شعريا من أشكال الحقيقة))[23].

4ــ نشأة الأساطير:

إن المتتبع لآراء العلماء والمفكرين حول موضوع نشأة الأساطير سيجد أنها تدور في فلك أربع نظريات علمية، لخصها الباحث توماس بولفينش "T. Bolfinch" في كتابه "أساطير روما واليونان[24]، فيما يلي:

أ ــ النظرية الدينية: يقر أصحاب هذه النظرية بأن كل الأساطير التي عرفها الإنسان سواء كان بدائيا أو حديثا تعود أصولها إلى الكتب المقدسة القديمة (التوراة والإنجيل)، مع اعترافهم بأن حكايات الأساطير قد

غيّرت وحرفت بحسب خصوبة خيال رواتها وناقليها، فتلك الأساطير ((أضيف لها وغير فيها، كما حرف أصلها الديني حتى خرجت عن الحقيقة الدينية إلى الأسطورة، ومن ثم يوجد تشابه في مثل هذه الأساطير عند الشعوب))[25].

ب ــ النظرية التاريخية: يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن أعلام وأبطال الأساطير هم شخصيات واقعية، عاشوا في زمن ماض، وقاموا بسلسلة من الأعمال البطولية لفتت الأنظار إليهم، وعلى مر الأيام أضافت الجماعة الشعبية إليهم بعدا عجائبيا وهالة قدسية تتناسب مع نظرتهم إليهم، فالأسطورة بحسب هذه النظرية ((ليست مجرد حكاية، وإنما هي حقيقة معاشة، وهي ليست خيالا وإنما واقع حدث في زمن جد بعيد ولا يزال يمارس نفوذه على العالم، وعلى مصائر الناس))[26]، وهذا ما ذهب إليه مرسيا إلياد، حيث يربط بين الأسطورة والإنسان والتاريخ، فيؤكد بأن الأساطير هي في أصولها أخبار تاريخية تروي بعض الوقائع والأحداث التاريخية التي حصلت في الماضي لبعض الجماعات البشرية، فهي تعتبر ((تاريخا مقدسا، وبالتالي تاريخا حقيقيا، لأنها دائما ترجع إلى "حقائق".))[27].

جـ ــ النظرية المجازية: ويرى أصحابها أن جميع أساطير الشعوب الماضية مجازية ورمزية، بمعنى أن بعض الحقائق الدينية أو الأدبية أو الفلسفية أو التاريخية الموجودة في الأساطير التي استعملت أسلوب المجاز أو الرمز في الورود أستوعبها الناس بمرور الزمن على أساس ظاهرها الحرفي.

د ــ النظرية الطبيعية: ترى بأن الإنسان البدائي قام بتخيل عناصر الكون المختلفة من: سماء وأرض وبحر وجبال... في هيئة أشخاص أو كائنات حية أو أنها تختفي وراء كائنات خاصة، وهكذا أصبح لكل ظاهرة

طبيعية أو كونية كائن روحي تتجسد فيه، وتبنى عليه أسطورة أو أساطير مختلفة.

ومع التأكيد على خصوصيّة كل حضارة وتمايزاتها بحسب ظروفها الزمانية والمكانية ومستوياتها المعرفية وخلفياتها الثقافية، فللخصوصية الحضارية دور كبير في بناء ونشأة الأساطير، إلا أن هناك نوعا من التداخل الذي يخلق تكاملا بين النظريات الأربع في تفسير أصل الأساطير مهما كان زمنها أو مكان نشوئها، فـ ((كل هذه النظريات صحيحة نوعا ما، ومن الأصح أن يقال بأن أساطير أمة ما قد وجدت من كل هذه المصادر))[28].

5 ــ أنواع الأساطير العربية:

أما عن أنواع الأساطير، فقد اختلف النقاد والباحثون في تحديدها، ويرجع هذا الاختلاف إلى تعدد وجهات دراستها وطبيعة اشتغال الباحثين عليها، إلا أنهم اتفقوا على خمسة أنواع ــ سنذكرها بإيجاز ــ هي:

أ ــ **الأسطورة الشعائرية ــ الطقوسية:** وهي تلك الأساطير المصاحبة للطقوس والاحتفالات الدينية، التي كانت تقوم بها الجماعات الشعبية، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته، يبدو الطقس خاليا من المعنى، فتخلق الحاجة إلى التفسير والتبرير في أوساط الجماعة الشعبية التي يتداول فيها، فتأتي هذه الأسطورة لإعطاء هذا التفسير والتبرير.

ب ــ الأسطورة التعليلية ــ السببية: ووظيفتها البحث عن الأسباب، فهي حكاية توضيحية لجأ إليها الإنسان البدائي لتعليل الظواهر الغامضة التي لم يجد ما يبرر حدوثها، فأختلق حكاية أسطورة عللت وفسرت له سر وجودها.

جـ ــ الأسطورة التاريخية: وفيها يمتزج التاريخ بالخرافة، فتستعمل شخصيات معروفة في التاريخ أو أحداث وقعت فعلا في الزمن الماضي، استعمالا مختلفا، بحيث تبلورها في صيغة جديدة، لتعيد إحياءها من جديد.

د ــ الأسطورة الكونية: تسمى أيضا بالأساطير الإتيولوجية "Etiologie"، وهي تلك الأساطير التي أبدعها الإنسان البدائي من أجل تفسير ظاهرة كونية أثارت انتباهه، فالتأمل الموضوعي هو أساس هذه الأسطورة.

هـ ــ الأسطورة الرمزية: ظهر هذا النوع من الأساطير في مرحلة فكرية أرقى من تلك التي ألفت فيها بقية الأنواع السابقة، وقد تضمنت رموزا لها علاقة وطيدة بالعالم الأرضي الواقعي الذي يعيش فيه الإنسان، فهي أساطير ((تختص بعالم الإنسان وليس بعالم الآلهة، وان رموزها صادقة))[29].

6 ــ الأسطورة العربية ــ بناء سردي:

تعود جذور القصة العربية الأولى إلى تلك الحكايات التي كان الإنسان العربي يرويها في احتفالاته وطقوسه الدينية، التي تشكلت فيما بعد في شكل أساطير تضمنت معاني عميقة حول أصل الكون والوجود وحياة الإنسان. فوجود الأسطورة لم يكن اعتباطا، بل ظهرت إلى الوجود ونشأت في محاولة من الإنسان البدائي لتبرير أحداث وتفسير وقائع وسلوكيات وصراعات استقطابية بين عناصر خيرة وأخرى شريرة ضمن زمن غير محدد، وكان البحث عن أصل الوجود والكون وخلق الإنسان والأشياء الأساس الأول الذي قامت عليه الأسطورة ونمت وتطورت حتى أضحت نمطا قصصيا قائما بذاته، يقيم عالما يعكس بدوره البنية الفنية والفكرية العميقة للمجتمع البدائي.

لقد اعتمدت الأسطورة العربية القديمة على عناصر الحكاية المختلفة، فتبتدئ الأحداث فيها وتتصاعد وتستمر في صعودها حتى تأتي على نهايتها، فيصل بنا الراوي إلى الحل المقصود، ويأخذ بنا في الانحدار نحو الحل أو إلى ما يسمى في النقد الروائي "لحظة التنوير". كما اعتمدت أيضا على اللغة بكل طاقتها الرمزية والإيحائية كوسيلة لتخصيب الجانب الموضوعي فيها، فالخلاص والأمان والسعادة بالحكي عبر القول أساس جوهري في فلسفة التكوين الأسطوري، فتنتظم في بنية سردية متكاملة أسلوبا وبناءا ودلالة جعلت منها مبنى سردي ينتمي إلى السرود الشفاهية، نشأ في ظل سيادة مطلقة للمشافهة ولم يقم التدوين الذي عرف في وقت لاحق لظهور المرويات السردية، إلا بتثبيت آخر صورة بلغها المروى، الأمر الذي يؤكد قضية تاريخية مهمة، وهي: أن المدونات السردية الأسطورية العربية لا تمثل سوى المرحلة الأخيرة التي كان عليها المروى قبل تدوينه[30]، وتنهض على مكونين أساسيين: الأول: القصة، وتشتمل منطق الأفعال، كما تشتمل على تركيب الشخصيات، والآخر: الخطاب الذي يشتمل الأزمنة ومظاهر السرد وصيغه.

لقد تشكلت النصوص السردية العربية القديمة فيما بينها تشكلا خاصا من شأنه أن يصنع مقومات نجاح الأسطورة العربية بوصفها عملا أدبيا متميزا، والأساطير منذ الأزل حملت مقومات النص السردي ونجحت في أن تخلق نصا أدبيا يتمتع بالامتيازات الفنية، فكانت الأساطير العربية القديمة عبارة عن حكاية تناقلتها الألسن شفاها ــ ثم دونت بعد ذلك ــ تحكي قصة الخليقة الأولى معبرة عن العقلية البدائية للإنسان العربي البدائي بأسلوب فلسفي، نشأت نشأة طبيعية تلقائية نتيجة صراع الآلهة أو أنصاف الآلهة من أجل البقاء والخلود.

إن ما يميز النص الأسطوري العربي ــ بوصفه نصا سرديا قديما ــ من النصوص العادية، أنه من حيث الشكل قصة تحكمها قواعد السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات وما إليها، وفي الثقافات العليا جرت العادة أن يصاغ النص الأسطوري في قالب شعري يساعد على ترتيله وتداوله شفاهة بين الأفراد وعبر الأجيال، ويزوده بسلطان على العواطف والقلوب[31]، والشعر قوة أسطورية لا يستهان بها في التأثير في المتلقي، حيث يكسب اللغة هالة من القداسة المنبثقة من الموسيقى الداخلية والخارجية فيه. وقد يدخل الشعر مكملا للحوار أو أساسا له في مواقف الصدام والصراع، يكون لاستخدامه دلالة فنية في تصوير وتجسيد هذا الصراع، فالحاجة إلى الشعر هنا ليست تزيدا وإنما هي حاجة فنية ملحة، وبهذا يغدو الشعر مكملا للسرد ليشكلا بناءا أسطوريا فريدا من نوعه.

لا جرم أن كانت شخصيات الأسطورة العربية ذات مستوى عال من الأداء، فهي من الكائنات العليا؛ التي تخضع لسطوتها بقية الشخصيات الأخرى، ووجود الإنسان فيها يأتي مكملا لأدوار هذه الشخصيات. لقد كانت صورة الآلهة غير واضحة في ذهن الإنسان العربي البدائي، لذلك جاءت هيئتها وصورتها الخارجية مطابقة لصورته، مع نوع من المبالغة في تصويره، وأغلب الشخصيات الأسطورية معدومة الصفات والملامح الخارجية، كما أن أغلبها شخصيات مرجعية بمعنى لها حقيقتها وأصولها التاريخية على أرض الواقع، ولكن هذا لا يعني انعدام الشخصيات المتخيلة والعجائبية فيها بل إنها تسير جنبا إلى جنب مع الشخصيات المرجعية، وقد تختلف طرائق تقديم هذه الشخصيات، فهناك أساطير قامت على أساس تقديم الشخصية من وجهة نظر الراوي ــ وهي الغالبة ــ وهناك أخرى قامت على

أساس تقديم الشخصية من طرف شخصية أخرى مشاركة لها في الخطاب الأسطوري.

كما تحمل الشخصيات الأسطورية أسماء هي في الغالب دلالات متنوعة ترتبط أحيانا بالدور الذي تقوم به هذه الشخصيات، وترتبط أحيانا أخرى بالسمات التي تحملها؛ بمعنى آخر: أن الاسم يؤكد السمة الوظيفية للشخصية ودورها في الأسطورة.

فالبطل الأسطوري شخصية محورية تدور حوله أحداث الأسطورة العربية القديمة، وضمّن الراوي صفات البطل العادية والمعنوية العديد من معانيه الإنسانية، كما انطوت أفعال البطل وتحركاته في المتن الحكائي الأسطوري مدلولات معينة كرسها الراوي لخدمة الأثر الذي أراد إيصاله إلى المتلقي أو الجمهور.

والجدير بالملاحظة هو وجود قوة غيبية خارقة أو لها صفة العجائبية يستند عليها البطل الأسطوري في مسار السرد الأسطوري، وهي إما أن تكون في شكل شخصيات غيبية كالجن، أو في شكل شخصيات بشرية مرافقة للبطل تتميز بمميزات خاصة.

أما الأحداث التي تستند إليها الأسطورة العربية إن هي إلا صور ذهنية خيالية مختلقة وليست وقائع جرت في دنيا الحقيقة، ولعل الأسلوب الأنسب في تحليل الأساطير هو الذي يعالجها باعتبارها تعبيرات وتراكيب لغوية تعتمد مبدأ المجاز والاستعارة بدلا من التحليل الموضوعي لحياة معاشة[32]، لذلك فان أحداث الأسطورة تمتلك نظاما دنيويا، عالمها عالم جغرافي وصفاتها صفات شخصية[33]، تقع هذه الأحداث في مكان غير متجانس، والزمن في السرد الأسطوري مغيب، فليس للأسطورة زمن بل انه ماثل أبدا لا يتحول إلى ماض، فهو زمن متلاش، غير مبنين، وغير مسردن،

زمن تائه ومختلط لا يحكي حدثا جرى في الماضي وانتهى، بل عن حدث ذي حضور دائم. وبما أن الأسطورة حكاية سردية تتصف بالشفاهية، فان هذا يعني أن من أهم مكونات هذا السرد هي الراوي ومرويه والمتلقي الضمني، فالراوي فيها غالبا ما يكون متعينا سواء بسماته أم بالمسافة التي تفصله زمنيا عما يرويه، بحيث يروي أحداثا لا تعاصره، وقد لا ترتبط به إلا بكونه راويا لها فحسب، كما أن المروي له يتعدد تبعا لتعدد الرواة، ويتكاثر كلما تكاثر عددهم، فيعد الراوي مفارقا لمرويه كذلك الحال مع المروي له الذي يتلقى مرويا تتسم روايته بسمة الوثوقية لما يعطيه للمروي من قدسية شعائرية جعلت المروي له يتقبلها بخشوع[34].

والمكان الأسطوري مكان ثانوي، غير متجانس لأن الأسطورة لا تستند إليه إلا من خلال العلاقة القائمة بينه وبين التخييل أو مع اللاواقع، لذلك نجد أن العلاقة بين الأماكن لا تتم إلا من خلال الارتباط بطرف ثالث هو الآلهة، وهذا يقتضي وجود باب مفتوح يجعل الاتصال بها ممكنا، وبما أن للمكان خصوصية قد لا تفوقها العناصر السردية الأخرى في أي نص سردي آخر، فإن للمكان الأسطوري ــ بالرغم من هامشيته ــ خصوصية تفوق الأماكن في النصوص السردية الأخرى، ولأهميته فقد احتفت النصوص الأسطورية به وغالبا ما تفتح الأساطير بوصف أو ذكر مكان معين، وتنطلق هذه الأهمية من منظورين: الأول: أنه يأخذ طابعا ميثولوجيا، حيث كان القدماء يعتقدون بأنه ينقسم على ثلاثة عوالم: السماء، الأرض والعالم السفلي. والآخر: أنه مكان أزلي، بمعنى أنه المكان الأول الذي ظهر إلى الوجود وتفرعت منه الأماكن الأخرى، فإذا سلمنا بأزليته فهذا يعني أنه خيالي.

لقد اتخذ الراوي موقعه خارج الأحداث، وبما أن الأساطير مجهولة المؤلف، فالراوي الذي ينقل الأحداث كان مفارقا لمرويه غير مشارك فيه،

فهو غير ممسرح من هذه الناحية، لكن ثمة راو يسيطر داخل المشهد الأسطوري على الحدث قد يكون بطلا أو إحدى شخصياتها، فهو والحالة هذه راو ممسرح. ويمكن تحديد وجهة نظر الراوي وفق ثلاثة أنماط:

أ ــ الراوي العليم: راو متماه بمرويه، يعرض الأحداث كما هي من دون تدخل مباشر منه، وقد يفسح المجال لشخصياته كي تروي الأحداث من وجهة نظرها، يروي بضمير الغائب، وينطلق من رؤية خارجية مع وضع مسافة بينه وبين ما يرويه، فنجده يقول مثلا: ((في ذلك الوقت كان البشر، يصلون إلى عمر المائة عام، وعندما كانوا يصلون إلى هذا العمر المتقدم، كان يتبقى لهم مائة عام أخرى))[35]، فالراوي هنا عارف بكل أحداث قصته الماضية منها والحاضرة.

ب ــ الراوي الشاهد: ينطلق من رؤية محايدة ويستخدم ضمير المتكلم في وصف الأحداث والشخصيات لا يتدخل مباشرة فيها. فمثلا في المقطع السردي الأتي يقول: ((يا نينورتاي، الذي كان أنكي بنفسه ينظر بإعجاب إلى قامتك، ماذا علينا أن نعمل يا إلهي؟))[36]، فالراوي هنا لا يعلم ما سيكون فيما بعد من أحداث.

جـ ــ الرواة المتعددون: فالأسطورة تعكس لنا استخدام المبدع لهذا النوع من الراوي على نحو مبكر جدا، ذلك أنها نص طويل نوعا ما، لذلك لم يكن من السهل عليه أن يترك راويا واحدا يعرض الأحداث؛ بل أنه ارتأى كسر هذه القاعدة وفسح المجال لأكثر من راو برواية الحدث على النحو الذي يخدم الأسطورة، معتمدين أسلوب السرد الذاتي والموضوعي معا في طريقة عرض الأحداث.

وفيما يخص المروي له، فلم تكن الحال معه أحسن من حال الراوي، فهو العنصر المكمل له، يتلقى ما يصدر عن الراوي الذي يقوم بدوره هذا

إيمانا منه بأن ثمة من يتلقى منه ما يرويه، وهو ممسرح في بعض النصوص وغير ممسرح في البعض الآخر، فضلا عن أن أكثر من مروي له يتلقى السرد من الرواة المتعددين.

أما من حيث البنية الموضوعية، فقد طرحت الأسطورة العربية القديمة موضوعات تتميز بالجدية والشمولية، فهي تدور حول المسائل الكبرى التي ألحت دوما على عقل الإنسان العربي القديم، مثل الخلق والتكوين وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر، وما إلى ذلك من قضايا صارت وقفا على الفلسفة من بعد. لقد حاولت الأسطورة العربية معالجة التجربة الإنسانية، ولكن طريقة معالجة هذه التجربة وطرحها وتفعيلها في هذا الأدب تنعدم فيها الوحدات الثلاث: الحدث، المكان والزمان والبناء والتصعيد الدرامي الذي يؤدي في النهاية إلى ذروة التأزم الكلي الذي لا يقبل حلا غير نهاية تراجيدية يلغي عندها أحد طرفي الصراع أو كلاهما بشكل أو بآخر.

فالأسطورة ترسم صورا إنسانية لصراع الإنسان مع الحياة والقدر، وصراعه ضد الغرائز ومحاولة التغلب عليها، إنها تجسد وقفة الإنسان إزاء الحياة بكل ما تحمله من فرح وألم وأحلام وآمال...

كما يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة، غير أن خاصية الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر، لأن الفكر الأسطوري ــالبراغماتي بطبعه ــ يتابع على الدوام خلق أساطير جديدة ولا يجد غضاضة في التخلي عن تلك الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية أو تعديلها.

أما فيما يخص الأساليب السردية التي لجأ إليها مبدع الأسطورة، كان عنصر السرد من أبرزها، هذا العنصر الذي تفاعل مع طريقة عرض الراوي لمرويه، ففضلا عن السرد الموضوعي الذي برز بصيغة ضمير المتكلم، كان سردا ذاتيا يعتمد أشكالا وصورا عديدة أبرزها:

ــ باستخدام ضمير المتكلم[37].

ــ باستخدام صيغة الشخص الثالث: وهو لجوء الراوي إلى استخدام ضمير المتكلم للحديث عن نفسه، ثم ينقطع السرد للحديث عن شخص آخر بصيغة ضمير الغائب، ثم العودة إلى ضمير المتكلم[38].

ــ باستخدام الرسائل[39].

إن أبرز ما يميز النصوص الأسطورية العربية القديمة هو سمة التكرار البارزة بصوره وأشكاله المتنوعة، وهو أسلوب قد يكون مملا في وقتنا الحاضر، ولكنه كان مثيرا في ذلك الوقت، فالأطوار البدائية التي كان يعيشها الإنسان، وعقليته المحدودة التي كانت تدفعه إلى تصديق كل شيء، فضلا عن انعدام الكتابة كانت أسبابا دفعته إلى اللجوء إلى مثل هذا الأسلوب لكي يعيد إلى ذاكرته ما يمكن نسيانه.

فالتكرار أسلوب تعبيري سردي كان له صداه داخل النصوص الأسطورية حيث تتعدد أشكاله وأنماطه، فنجد:

ــ تكرار مفردة[40].

ــ تكرار عبارة[41].

ــ تكرار سطر شعري[42].

ــ تكرار مقطع[43].

لقد كانت اللغة في الأساطير العربية رمزية بكل طاقتها الإيحائية، والإنسان العربي البدائي آنذاك كان ملزما أن يتكلم بهذه اللغة المجازية ليعبر

عن حاجاته الروحية التي كانت تزداد يوما بعد يوم، وهو في استخدامه لها كان مؤمنا بأنها حقيقة لا رمزا، تتلاءم وتصوراته اللفظية الأسطورية التي كان يبغي من خلالها التركيز والتداخل وتجاوز الفروق الفاصلة بين الأشياء فتصبح للغة الرمزية قيمة شمولية ومدلولات عامة.

والرمز الأسطوري لا يفسر إلا على لسان الكهان ورجال الدين والحكمة، لما يتمتعون به من قدرات وملكات عقلية وروحية تفوق قدرات وملكات بقية الأفراد في المجتمع، وهو منتشر في كل الأساطير القديمة ليظهر في شكل ظاهرة اجتماعية أو طبيعية يكون لها تفسيرها؛ إذ يجعلها الراوي تخفي وراءها معاني أراد إيصالها إلى المتلقي لأنها جزء من تكوين أسطورته.

من خلال ما سبق نجد أنفسنا في حيرة كبيرة أمام مجموعة من الأسئلة التي تطرح نفسها بقوة هنا ولا نستطيع أن نقدم لها إجابات منطقية تشفي غليلنا العلمي، منها: إذا كانت النصوص الأسطورية العربية على هذا القدر من الثراء اللغوي والتعبيري والفكري فكيف نستطيع أن نقوم الإنسان العربي البدائي؟ هل من خلال هذه النصوص أم من خلال ما نقلته لنا المصادر التاريخية من أدلة وبراهين تدل على تخلف وبدائية تفكيره؟ ومن أين استمد الإنسان العربي البدائي هذا الإتقان الأسلوبي الرائع وهو يصوغ نصوصه الأسطورية؟...

7 ــ وظائف الأسطورة:

كان تفكير الإنسان البدائي ساذجا بسيطا يتناسب مع حداثة وجوده على سطح المعمورة، ومع محدودية تجاربه في محيطه الاجتماعي، ولم يكن التفكير العلمي المنطقي إلا في حدود ما يجده يتلاءم مع تصوراته الذاتية، لذلك كانت نظرته إلى الكون والى مختلف الظواهر الكونية والطبيعية التي

تحيط به على وفق ما أملاه عليه تفكيره وأسلوب حياته، وجاءت الأسطورة معبرة وبصورة جدية وعميقة عن ((إيديولوجيا الجماعات البشرية البدائية والتقليدية البسيطة عادة التي تحيا الجماعة معتمدة عليها، وبهذا فالأساطير تدفع هذه الجماعات إلى التمسك بقيمها ومعاييرها وبمثلها العليا التي تسعى إلى تحقيقها من جيل إلى جيل.))[44]، فلم يتساءل الإنسان البدائي أبدا عن واقعية أو منطقية هذه الأساطير، لأنها كانت بالنسبة إليه حقيقة واقعية لا جدال فيها، فآمن بها القدماء ((ولم يدرسوها، ولم يروا فيها اختلافا أو وهما، أو غباء، كانت الأساطير بالنسبة للقدماء واقعا حقيقيا لا يدانيه أي واقع آخر، وفيه سارت حياتهم كلها... لقد امنوا بصحة الأسطورة إيمانا مطلقا لا تحده حدود، وكل ما روت عنه الأساطير كان بالنسبة إليهم حقيقة مطلقة.))[45]، والأسطورة بهذا المعنى تمتعت بقدسية عظيمة في نفوس وعقول أفراد الجماعة الشعبية التي يتداولونها فيما بينهم، فقد كانت بمثابة "مغامرة العقل الأولى" للإنسان البدائي، والشافية لشغفه المعرفي، ففي الماضي السحيق آمن بما تقدمه له الأساطير كإيمان الإنسان الحديث بما يقدمه له العلم، فلم يكن آنذاك بديل عنها يؤدي هذه المهمة الكبرى، فشكلت لديه مسلمة ويقينا، يبني وينظم على أسسها وقوانينها حياته الدينية والاجتماعية والثقافية.

فالأسطورة إذن، تعبر عن الواقع المعيش للجماعة الشعبية بمختلف جوانبه وأشكاله، سواء كان هذا التعبير بطريقة صريحة مباشرة أو بطريقة رمزية ضمنية، مما جعل الأفراد يتمسكون بها أيما تمسك، فهي تؤدي الكثير من الوظائف داخل المجتمع الذي تنتمي إليه، حتى أن أحد الدارسين قال واصفا إياها: ((وراء كل أسطورة هدف ما أو رسالة مشفرة))[46]، وفق ما سبق تتحدد وظائف الأسطورة في:

أـ وظيفة دينية: تعمل الأسطورة على توضيح وتفسير المعتقدات الدينية ـ باعتبارها من أهم المظاهر التي تستغرق الحياة الاجتماعية ـ والمحافظة عليها من الزوال والاندثار، وذلك من خلال توارثها جيلا بعد جيل.

ب ـ وظيفة أخلاقية: فهي تدعو إلى احترام القيم الأخلاقية التي نصت عليها المعتقدات الدينية، وتسرد لغايات اجتماعية عديدة، لعل أهمها: الوعظ والإرشاد، وأخذ العبر منها والسير على منوالها، من أجل تحقيق استمرار وجود الجماعة الشعبية التي أنتجتها.

جـ ـ وظيفة اجتماعية: فالأساطير ليست من أجل تفسير الظواهر الكونية والطبيعية فحسب، بل تتعدى ذلك لتصبح بمثابة الدستور الاجتماعي الذي يحدد وينظم دور كل فرد في مجتمعه من جهة، والسلطة التي لها القدرة على تنظيم حياة الجماعة بأكملها من جهة أخرى.

د ـ وظيفة نفسية: تؤدي الأساطير وظائف نفسية في المجتمعات التي تنتمي إليها، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بأحلام أفراد الجماعة الشعبية وتصوراتهم الرمزية الموحدة، وتشي عن التجارب النفسية للإنسان البدائي، وتومئ على مخاوفه وآماله المستقبلية، إنها تجسيد حقيقي للمشاعر الإنسانية برمزيتها، إذ توفر مخرجا نفسيا للمشاعر المكبوتة أو اللاشعورية، في محاولة لإعادة تشكيل وبناء كل المتناقضات التي مر بها الإنسان، التي ولدت لديه ضغوطات نفسية كثيرة ومتعددة.

هـ ـ وظيفة تعليلية: تنتشر في المضامين الأسطورية على اختلاف أنواعها النزعة إلى التعليل وربط الأسباب بالمسببات، كما يتجلى الميل إلى تجسيد القضايا تجسيدا ماديا يقربها إلى الأذهان البسيطة، فهي تتحدث عن أسباب النشوء وعلة وجود الكون والإنسان.

وثمة اتصال وثيق بين هذه الوظائف، فالأسطورة باعتبارها دين الإنسان البدائي تهذب الأخلاق وتقرب الإنسان من الفضائل، وتبعده عن الرذائل، وتحقق له راحة نفسية واستقرارا اجتماعيا مع الآخرين، تنمي روح التعاضد بين أفراد الجماعة، وتكشف عن تطلعات الإنسان وتصوراته نحو الحياة وعالم ما بعد الموت.

الهـــوامش :

(1) ــ نبيل علقم، مدخل لدراسة الفلكلور، منشورات مركز دراسات التراث، فلسطين، ط3، 1993، ص 15.

(2) ــ أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، مادة (سطر)، ج4، ص 363، 364.

(3) ــ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999، مادة (سطر)، ج3، ص 73.

(4) ــانظر: الأنعام: الآية 25،الأنفال: الآية 31،النحل: الآية 24،المؤمنون: الآية 83، الفرقان: الآية 5،النمل: الآية 67،الأحقاف: الآية 17،القلم: الآية 15، المطففين: الآية 13.

(5) ــ سورة الأنفال، الآية: 31.

(6) ــ سورة الفرقان، الآية: 5.

(7) ــ الطقوس: ((فعاليات وأعمال تقليدية لها في الأغلب علاقة بالدين والسحر، يحدد العرف أسبابها وأغراضها، والطقوس دائما مشتقة من حياة الشعب الذي يمارسها، ويعتقد البدائيون أن أداءها يرضي الآلهة والقوى فوق الطبيعية، والمعبودات، وعدمه يسبب غضبهم ويجلب نقمتهم، وتجري في الطقس فعاليات مختلفة، كالرقص، وتقريب القرابين ونحر الأضاحي، وأداء الصلوات وترديد التراتيل.))، أنظر: شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا؛ أنجليزي ــ عربي، منشورات جامعة الكويت، ط1، 1981، ص 824.

(8) ــ فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 06.

(9) ــ ك. ك رانفين، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 64.

(10) ــ محمد عباس، أفلاطون والأسطورة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008، ص 11.

(11) ــ حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994، ص 26.

(12) ــ م. ف أليبديل، سحر الأساطير؛ دراسة في الأسطورة ــ التاريخ ــ الحياة، تر: حسان ميخائيل اسحق، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2008، ص 22.

(13) ــ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص 9.

(14) ــ نقلا عن: محمد الخطيب، الاثنولوجيا؛ دراسة عن المجتمعات البدائية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دت، ص 194.

(15) ــ كلود ليفي ستراوس، الإناسة البنيانية، تر: حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1995، ج1، ص 229.

(16) ــ نقلا عن: أرنست كاسيرر، الدولة والأسطورة، تر: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1975، ص 39.

(17) ــ رولان بارث، الأسطوريات؛ أساطير الحياة اليومية، تر: قاسم المقداد، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ص 247.

(18) ــ المرجع نفسه، ص 268.

(19) ــ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، ص 10.

(20) ــ الطوطمية: ((هي الاعتقاد أن لكل فرد من أفراد القبيلة روح تحرسه، هي عبارة عن أحد الحيوانات الموجودة في بيئتهم.))، أنظر: سعد العبد الله الصويان، ملحمة التطور البشري، دار مدارك للنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص 558.

(21) ــ جاك لومار، مدخل إلى الاثنولوجيا، تر: حسن القبسي، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 294.

(22) ــ ماكس شابيرو، وورودا هندريكس، معجم الأساطير، تر: حنا عبود، دار علاء الدين، للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط3، 2008، ص 09،10.

(23) ــ فرانكفورت، وآخرون، ما قبل الفلسفة؛ الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى، تر: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 1960، ص 19.

(24) Thomas Bolfinch, Mythology of Greece and Rome, USA, P P 286-288.

(25) ــ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، ص 15.

(26) ــ إ. جيمس، الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم، تر: يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر، حلب، سوريا، ط1، 1998، ص 21.

(27) ــ مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، ص 10.

(28) Thomas Bolfinch, Mythology of Greece and Rome, P 288.

(29)ــ فضيلة عبد الرحيم، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 38.

[30] ــ عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص: 16.

[31] ــ فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، منشورات دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص: 57.

[32] ــ قيس النوري، الأساطير وعلم الأجناس، جامعة بغداد، 1981، ص: 20.

[33] ــ سوزان لانجر، جذور الأسطورة، تر: عبد الودود محمود العلي، مجلة أفاق عربية، ع2، 1991، ص: 110.

[34] ــ فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ص: 15.

[35] ــ قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وأشور، كتاب الحضارة والسلطة، دار الساقي، سوريا، ص: 44

[36] ــ ينظر: المرجع نفسه، ص: 60.

[37] ــ ينظر: المرجع نفسه، ص: 308.

[38] ــ ينظر: المرجع نفسه، ص:392.

[39] ــ ينظر: المرجع نفسه، ص: 385.

[40] ــ ينظر مثلا: ((المقطع 90: حين ألمس السماء تتبجس منها أمطار الرخاء. حين ألمس الأرض يأتي الفيض. وحين ألمس الحقول المخضوضرة. تتجمع أكوام وأكداس من الحب تبعا لأوامري)). المرجع نفسه، ص: 195.

[41] ــ ينظر مثلا: ((المقطع 215: ... سوف يعود لنفسه بعد الجائحة، عندما تكون المياه قد جفت... سوف يعود لنفسه ويتنفس الصعداء)). المرجع نفسه، ص: 69.

[42] ــ ينظر مثلا: ((في الليلة الفائتة عندما، أنا الملكة، كنت أشع نورا، في الليلة الفائتة عندما، أنا الملكة، كنت أشع نورا)). فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والدراسات الشرقية، دار علاء الدين، سوريا، 1997، ص:150.

[43] ــ ينظر مثلا: تكرار المقطع ((لأني عندما اقتربت من هذا البلد. لم يظهر لي أي احترام. أنا أنانا عندما اقتربت من هذا البلد. لم يظهر لي أي احترام))، قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وأشور، كتاب الحضارة والسلطة، ص: 247، 251.

[44] ــ قيس النوري، الأساطير وعلم الأجناس، ص 13.

[45] ــ م. ف ألبيديل، سحر الأساطير؛ دراسة في الأسطورة، التاريخ، الحياة، تر: حسان ميخائيل اسحق، ص 19.

[46] ــ هاني الكايد، ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص 57.